كنه المعاني The essence of senses

خالد مصطفى * Khaled Moustafa

*محرر الأرشيف العربي العلمي Editor of Arabic Science Archive

Email: khaled.moustafa@arabixiv.org

ملخص Abstract

اللغة هي وسيلة الاتصال الرئيسة بين البشر، وكلما كانت المفردات والتعابير اللغوية المتداولة صحيحة، كان الاتصال أسرع والتعلم أسهل. ولكن في كثير من الحالات، هناك تعابير ومفردات لغوية تستخدم لغير معناها الأصلي، إما لأسباب إعلامية وإعلانية، أو بسبب اللامبالاة وعدم التفكير بالمعنى الحقيقي لها، أو نتيجة ترجمة حرفية أو سطحية من لغات أخرى، أو استيراداً لكلمات أجنبية مع تعديل لفظي طفيف، استسهالاً أو ثقافاً وتباهياً وتقليداً ومسايرة لصراحة تقنية أو إعلامية على حساب مرادف عربي يؤدي الغرض أو المعنى بصراحة ووضوح. وفي اللغة العربية، كما في لغات أخرى، هناك الكثير من الكلمات المتداولة التي تعبر عن معانٍ جديدة غير التي تعنيها بالأصل، ولكن شيوعها واستخدامها المتواتر جعلها تتركس المعنى الجديد على حساب المعنى الأصلي، المنسي، إن لم تشوّهه.

اللغة، منطوقة ومكتوبة، هي أداة التعبير الرئيسة عند الإنسان، وهي ما يميزه عن غيره من الكائنات الأخرى. ومن وظائف اللغة، تسمية الأشياء والأشخاص ووصف الأحوال والصفات لتسهيل التفاعل والتواصل بين البشر مكانياً وزمانياً. وكلما كانت الأوصاف والتعابير اللغوية دقيقة، كان الاتصال أسهل والتعلم أسرع والتفاهم أكثر فعالية. والعكس صحيح، كلما كان الكلام والتعبير اللغوي غامضاً ومبهماً، كان أدعى إلى اللامبالاة والتجاهل أو إلى المفسدة وسوء الفهم والخصام والنزاع، وفي أضعف الإيمان إلى القصور عن تلبية الحاجة والرغبة التي يُقصد بها. وفي ذلك يقول هُبيرة بن أبي وهب:

وإن كلام المرء في غير كنهه لكانبل تهوي ليس فيها نصالها

أي أن الكلام الذي يُقال على عواهنه، دون تدبر وتبصر، يكون كالسهم الذي لا نصل له ولا فائدة منه.

وقد شاعت في اللغة العربية، كما في لغات أخرى، كثير من التعابير والكلمات التي تستخدم في غير موضعها، أو على الأقل لا تعبر عن المعنى المراد منها بدقة، إما بسبب ترجمة حرفية لا تأخذ بالحسبان المعنى الحقيقي والسياق العام، أو لأنها متداولة مراراً في وسائل الإعلام التي تركز كثيراً من المفاهيم العلمية والحياتية دون اعتبار لدقتها وصحتها [1].

وفيما يلي بعض الأمثلة عن كلمات شائعة في اللغة العربية، ولكنها لا تعكس بالضرورة المعنى المقصود منها أو أن معناها أقل ما يقال غير دقيق لوصف الحال أو السياق الذي يقال فيه:

- الوصول الحر

يستخدم هذا التعبير في مجال النشر العلمي، كمرادف للتعبير الإنكليزي open access الذي يعني أن المدخل (أو الدخول) إلى مصدر المعلومة أو المقالة المنشورة مفتوح، أي ليس مرهوناً بدفع رسوم اشتراك أو عضوية. لذلك، فإن تعبير "وصول حر" هو تعبير غير دقيق لأن المدخل يأتي قبل الوصول، فإذا كان المدخل مغلقاً، فليس هناك وصول، لا حر ولا غيره. وكلمة حر في ("وصول حر") تبدو مأخوذة من الكلمة الفرنسية "libre" في تركيب libre accès، وكلمة "libre" بالفرنسية libre تعني حر. علاوة على ذلك، فإن تعبير "الوصول الحر" يعني "الوصول غير المقيد"، وهذا لا ينطبق على المعنى الحقيقي المراد من تعبير open access الذي يعني ضمناً أنه ليس هناك حاجز أو عائق مادي يمنع قراءة المادة المنشورة. فإذا كان المدخل مفتوحاً فالوصول مضمون. لذلك، فتعبير "مدخل مفتوح" كترجمة لـ open access تبدو أكثر دقة من تعبير "وصول حر" لأنه لا بد أولاً من "مدخل" قبل "الوصول" إلى المادة المنشورة، وإن كان ذلك المدخل مفتوحاً، كان الوصول مضموناً ومتاحاً، أما إذا كان المدخل مغلقاً، فليس هناك وصول حر أو غير حر.

- مشاع إبداعي

يستخدم هذا التعبير لوصف أنواع الترخيص المصاحبة للمنشورات الإلكترونية والمواد الموزعة، وهو ترجمة عن الإنكليزية "كرياتيف كومنز" creative commons، وهو اسم شركة¹ تصدر عدة أنواع من التراخيص الخاصة بحقوق النشر المعروفة بنفس الاسم (واختصاراً بـ CC) متبوعة بأحرف أخرى تشير إلى نوع الترخيص أو التوزيع المسموح به للمواد المنشورة (مثلاً، توزيع تجاري، غير تجاري، خاضع لشروط معينة، إلخ). وكلمة commons تعني بالأصل "الأرض المشاع"، أي غير المقسومة، التي يُسمح لأي إنسان باستخدامها أو الرعي فيها". لذلك، فإن ترجمة creative commons كـ "مشاع إبداعي" للتعبير أو الحديث عن أنواع تراخيص

¹ <https://creativecommons.org>

النشر هو تعبير غير دقيق، لأنه يعني لغوياً أن المَشاع هو "الإبداعي"، بينما المقصود هو أن المادة المنشورة يحق استخدامها وإعادة استخدامها وفقاً لضوابط وشروط معينة. وبما أن المواد المنشورة هي نوع من أنواع الإبداع الكتابي، فإن تعبير "إبداع مشاعي" أو "إبداع مُشاع" بدلاً من "مشاع إبداعي" تبدو أكثر دقة ومنطقية، لأن مشاع تعني أرض، وإبداعي تعني مُستنبط، مُستحدث، مُنشأ (بدع الشيء: أوجده وأنشأه أو استنبطه) أو بديع، خلاق... بمعنى آخر، ليس المَشاع بحد ذاته هو الإبداعي، وإنما الإبداع هو المَشاع وفقاً لشروط معينة، إلا إذا كان المقصود بإبداعي هو مستحدث، مستنبط، استحدث، استنباطي، وهو ما تعنيه كلمة إبداع أساساً، كما ذكر آنفاً، فيكون معنى الترخيص أعلاه: "مشاع مُستحدث"، أو "مشاع مستنبط"، أو "مشاع منشأ"، ومع ذلك فلا يحتمل هذا المعنى النشر بترخيص مُعين، أو إعادة النشر لمادة منشورة، لأنه إذا ما تم نشر مقالة ما وأصبحت متاحة للعموم، فإنها تفقد صفة الاستحداث، بعد أن تم استخدامها مرة أولى، لذلك فهي ليست مَشاعاً مستحدثاً وإنما متاحاً للعموم والاستخدام.

- عملة صعبة

وكأن هناك "عملة سهلة" وأخرى "صعبة"، وهذا التعبير ترجمة عن الإنكليزية hard money أو hard currency المتعلقة بعملية الإقراض والاستدانة، والأصح هو "عملة قوية" أو "عالية القيمة التبادلية"، والعكس هو "عملة ضعيفة" أو "منخفضة القيمة التبادلية".

- بنية تحتية

(والجمع: بُنى تحتية): هذا التعبير هو ترجمة للكلمة الإنكليزية infrastructure المكونة من infra: تحت، و structure: تركيب، وتشير إلى الأعمال التي كانت تجرى تحت الأرض، كأفاق القطارات والطرق والجسور أو المنشآت المائية أو الكهربائية، ومنه عُممت على كل أنواع المنشآت الاقتصادية والعمرانية. أما البديل عربياً، وبشكل أصح، فيمكن أن يكون "البنى العمرانية" (مفرد: بنية عمرانية) حيث أن كل ما يبنى وينشأ تحت سطح الأرض أو فوقها هو في نهاية المطاف "إعمار وعمران"، لذلك فإن معنى "بنية تحتية" قد لا يكون دقيقاً بهذا المعنى، لأن هناك "بنى فوقية" أيضاً، أي فوق سطح الأرض (مثل الأبنية والطرق والمنشآت والمعامل والسكك الحديدية، والمراكز التجارية، إلخ) وهي أكثر من تلك التي تحت سطحها.

- هروب إلى الأمام

وكأن الهروب يكون إلى الخلف! الهروب يكون غالباً إلى الأمام أو إلى اليمين أو إلى الشمال لمن هو "مطارد من الخلف"، ولكن هذا التعبير هو ترجمة حرفية عن العبارة الفرنسية "فويت آن أفان fuite en avant ويعني

اصطلاحاً، أن يضع الإنسان نفسه في ورطة ظاناً أنه يهرب منها، أو أنه يتهرب من إيجاد الحلول المناسبة لمشكلة ما. ويقابله في العربية بدقة أكثر: "إلقاء الإنسان نفسه إلى التهلكة" أو "مراوغة وروغان" (مصدر راغ)، وهذه التعابير أكثر دقة من تعبير "الهروب إلى الأمام"، الذي يعود أصله إلى هروب أحد الجيوش من خصمه عند رؤيته في الأفق فوجد نفسه وجهاً لوجه معه.

- المفكر العربي

يشيع استخدام هذا التعبير كثيراً في وسائل الإعلام على اختلاف أنواعها (مرئية ومقروءة ومسموعة) لوصف زيد أو عمرو من الناس بأنه "مفكر" وكأن التفكير محصور بزيد أو عمرو فقط، ولا أحد يستطيع التفكير والتحليل غيرهما، حتى لو لم يظهر في وسائل الإعلام، أو لم يكن نجماً من نجوم التواصل الاجتماعي [2]، علماً أن التفكير هو ميزة للإنسان بشكل عام، وهو ما يميزه عن الحيوان، وكل إنسان لديه القدرة على التفكير والتحليل، على الأقل نظرياً، وإن اختلفت المستويات ودرجة الفراسة والنباهة.

نفس الأمر ينطبق على صفات أخرى، مثل "باحث، أكاديمي، مبتكر، مخترع..." التي أصبحت بمثابة درجات أو أوصاف تفاضل وتعريف وغرور واغترار لكثير من الناس على وسائل التواصل الافتراضي، علماً أنها أوصاف براقة فقط غير موضوعية. فالباحث هو من يبحث عن شيء، "كالمضائع أو "التائه" الذي يبحث عن طريقه أو مبتغاه، لذلك ليس هناك فضيلة أو تمايز بأن يصف المرء نفسه، أو يُوصف بـ "الباحث" أو "الأكاديمي". والأفضل منهما عربياً كلمة "دارس"، إن كان ولا بد من ألقاب! و"الأكاديمي" هي صفة منسوبة إلى اسم القاعة أو الساحة التي كان أفلاطون يتدارس فيها مع تلامذته، واسمها مأخوذ من اسم صاحب تلك القاعة. لذلك فإن سمة "أكاديمي" ليست بتلك العظمة أو الوجاهة التي يقصد منها! يجدر بالذكر أيضاً، أنه قلماً يستخدم هذا التعبير في اللغات اللاتينية لوصف الأشخاص العاملين في الميدان العلمي كما هو الحال في البلاد العربية، وليس هناك من يقدم نفسه على أنه "أكاديمي" مثلما يحدث عند كثير من العرب. أما الابتكار والاختراع فهما تعبيران مطاطان أيضاً غايتهما التمايز والتفاضل أكثر من التعريف بصاحبهما. فليس كل من ابتكر شيئاً أو اخترع أداة يصبح مبتكراً أو مخترعاً، لأن الابتكار أو الاختراع ما لم يكن مستمراً ومتواصلاً لاستحداث أدوات متعلقة بأمور ومجالات كثيرة ليس بمهنة. والابتكار ليس كالشعر الذي يمكن لصاحبه أن ينظمه في كل مناسبة حتى يسمى المبتكر مبتكراً، كما هو الشاعر شاعراً، أو الكاتب كاتباً. بمعنى آخر، الشاعر يستطيع تنظيم القوافي لكل مناسبة، أما "المخترع العربي" فربما اخترع أداة بسيطة فقط، ومع ذلك يقدم نفسه على أنه "مخترع" أو "مبتكر" وهذا فيه نوع من التضخيم والمبالغة غير المبررة.

- صباح الورد!

كثيراً ما تتردد في وسائل الإعلام أو بين المعارف أو الأصدقاء عبارات تحية جوفاء المعنى والمغزى، مثل "صباح الورد"، و"صباح الفل"، و"صباح الياسمين..." أو "مساء الفل" إلخ، كنوع من التحية أو المبالغة بها، دون إدراك المعنى الحقيقي أو مدلول هذه العبارات الذي لا يعني الشيء الكثير. فقول "صباح الورد" أو "صباح الفل"... هو مثل قول "شوك الورد" أو "مطر السماء" أو "ملح البحر" أو "بذر البطيخ"...! فهذه التعبيرات هي جمل اسمية من مبتدأ ومضاف إليه وخبر محذوف يمكن أن يكون أي معنى مضمراً في السؤال: وما به "صباح الورد"؟ وما به "مساء الياسمين"؟ وما به "صباح العنب" و صباح المشمش و صباح الرمان؟ فقد يكون صباح الورد جافاً أو مائلاً أو ساخناً أو بارداً أو ذابلاً أو أتى عليه الدود والهوام والسواك! وإن كان المقصود إشارة إلى عبق ورائحة الورد، فليست كل الورود عطرية، وحتى لو كانت كذلك، فما به "صباح الورد" وماذا يعني ذلك؟ ولماذا ليس "صباح النعناع" مثلاً أو صباح اليزفون أو صباح الشاي أو مساء القهوة بالهيل أو جوز الهند وحرير الصين؟!

- حبيبي!

على الرغم من كون كلمة "حبيبي" هي من الصفات التي تتعلق بالعلاقات العائلية أو الزوجية أو علاقات القرى بشكل عام، إلا أنه يكثر استخدامها في كل مناسبة وموقف تقليدياً أو تأثراً بمسلسلات "طحن الوقت" إلى درجة الإسفاف والابتذال والسخرية. إذ لا يتوانى كثير من الناس، معارف أو غرباء، عن استخدامها في معرض أحاديثهم كنوع من لفت الانتباه أو المبالغة في التودد والتحبب أو التهكم لأن ما زاد عن حده انقلب إلى ضده، ولأن استخدام هذه الكلمة لوصف أو مخاطبة إنسان دون سابق معرفة أو رابط محبة قوي هو أقرب إلى الاستهزاء منه إلى محبة ومودة حقيقية، وإلا فاسأل من يخاطبك بها أن يقرضك مبلغاً من المال لترى حبيبه من زبيبه!

- أحافير (ومستحاثات)

تستخدم كلمة أحافير كمصطلح علمي ترجمةً للكلمة الإنكليزية fossil للتعبير عن بقايا أو مخلفات الكائنات الحية الميتة أو النافقة منذ زمن طويل، يتم العثور عليها في مقابر أو حُفَرٍ، ومنه كلمة أحافير. ولكن المعنى الحقيقي لكلمة أحافير في العربية لا يعكس المعنى المستخدم حالياً للدلالة على بقايا أو رفات أو رماث الكائنات الحية. فالأحافير هي جمع أحفار التي هي بدورها جمع لحفرة أو حفير أو حفر، وبذلك فإن استخدام كلمة أحافير للتعبير عن بقايا الكائنات الحية غير دقيق. وينطبق نفس الأمر على كلمة "مستحاث" أو مستحاثات

(والجمع: مُستحاثات) المستخدمة لنفس الغرض، كترجمة لـ fossil، ولكن ليس لهذه الكلمة بدورها أي علاقة ببقايا الكائنات الحية الرميمة لأنها مشتقة من الحث والحض والاستعجال والتشجيع على أمر ما. وللتعبير عن لـ fossil بشكل أدق وأصح، أقترح استخدام كلمة رَمِيم أو رِمّة، في صيغة المفرد (fossil)، و رِمَم أو رِمَام أو رَمَائِم في صيغة الجمع (fossils) لأن من معاني كلمة رِمّة ورَمَائِم العظام البالية والخلق البالي من كل شيء. وفي محكم التنزيل "يحي العظام وهي رميم، أي بالية ونخرة.

- شفافية

تكاد تكون كلمة "شفافية" من الصرعات اللغوية الحديثة التي تستخدم حشراً وبطراً وهدراً للتعبير عن الصراحة أو الصُرُوحة والعدالة والتبيان أو الجلاء أو الجَلوة. وهي ترجمة حرفية عن الكلمة الإنجليزية transparency وتعني شفافية أي رقة أو رهافة (وهي من الشف وهي الستر أو الثوب الرقيق أو الرهيف). وبهذا المعنى، ليس هناك علاقة مباشرة بين الشفافية من جهة وبين الصراحة والوضوح من جهة أخرى. وفي المثل العربي يُقال: "انْصَرَحَ الْحَقُّ": أي بان وانكشف، و "صَرَّحَ الْحَقُّ عَنْ مَخْصِيهِ"، أي ظهر وانكشف. ويومٌ مُصرَحٌ أو صريحٌ: ليس فيه سحاب. وعليه، فإن كلمة صراحة أو جلوة في اللغة العربية هي أكثر تعبيراً ودقة من كلمة "شفافية" عندما تستخدم للدلالة على الوضوح والصراحة والصدق والحقيقة، لأن الشفافية هي الرهافة والدقة في الملبس أو في أي مادة غير سميكة يرى من خلالها ما بعدها، أي أنها لا تستر ما خلفها.

- العيش على الزراعة

كثيراً ما يرد في تقارير علمية أو صحفية مرئية أو مسموعة أو مكتوبة أن نسبة معينة من السكان "تعيش على الزراعة" مقارنة مع من يمتهن الصناعة أو التجارة أو غيرهما من المهن، ولكن هذه المقولة خاطئة جملة وتفصيلاً، لأنه لا يمكن للإنسان، مهما كانت مهنته، أن يعيش دون منتجات زراعية (نباتية وحيوانية). بمعنى آخر، الزراعة هي أساس العيش والحياة، وجميع الناس، ليس فقط الذين يعملون فيها مباشرة، يعتاشون على الزراعة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، إما من خلال العمل فيها والتغذي على منتجاتها الزراعية والمتاجرة بها، أو عن طريق منتجات الحيوانات التي تتغذى على النباتات. وبهذا المعنى، فإن كل البشر دون استثناء يعيشون على الزراعة، وليس فقط أولئك الذين يعيشون في الأرياف ويعملون في الأعمال الزراعية والفلاحية.

- منظمة الصحة العالمية

هذا التعبير يشير لأول وهلة إلى أن هناك "صحة عالمية" لها منظمة تدير أمورها، بينما المقصود هو "منظمة" على مستوى عالمي، مكونة من أعضاء من دول مختلفة في العالم، تهتم بأمور الصحة والطبابة محلياً وعالمياً.

بمعنى آخر أدق، المنظمة هي ذات السمة العالمية وليست الصحة، وعليه فإن تعبير "المنظمة العالمية للصحة" أكثر دقة من تعبير "منظمة الصحة العالمية" لأن التعبير الأخير يعطي الانطباع بأن المقصود هو أن الصحة هي العالمية وليست المنظمة، في حين أن المقصود هو العكس، أي أن المنظمة هي العالمية وليست الصحة. وهذا ينطبق على أسماء منظمات وهيئات أخرى بصيغ مشابهة.

- نظام

النظام لغة هو الخيط، أو ما يُنظم فيه الشيء، كالخيط أو السلك الذي يُنظم فيه الخرز أو اللؤلؤ، ونظام كل أمر ملاكه. ولذلك يقال "تَظَمَ الخيط في الإبرة ينظمه نظاماً" أو تَظَمَ الخرز في الخيط نظاماً (وقد تُلفظ باللام: "لظم" الخيط...). والنظام أيضاً الاتساق والاستقامة على أمور معينة وقوانين مقررة تُسَيَّر وفقها شؤون العامة. ولكن، كثيراً ما تستخدم كلمة "نظام" في وسائل الإعلام العربية لوصف حكومة بلد آخر إذا كان بينهما عداوة أو خلاف (كالقول مثلاً "النظام الفلاني...")، كما لو أن كلمة نظام هي إهانة أو انتقاص، بينما هي ليست كذلك بالأصل. بمعنى آخر، عند سماع كلمة نظام في وسائل الإعلام، فإنه غالباً ما يراد تحميلها معنىً ازدرائياً لا تحمله بالأصل.

References

مراجع

1. Moustafa, K., مفاهيم علمية خاطئة في الإعلام العربي: "الجنات الوراثية" مثلاً، Arabic Science Archive (arabixiv), 2018 doi: 10.31221/osf.io/65ry8.
2. Moustafa, K., أنبياء التواصل الاجتماعي: يُتَّبَعُونَ ولا يُنَبِّغُونَ، Arabic Science Archive (arabixiv), 2018 doi: 10.31221/osf.io/95sjx.
3. Moustafa, K. (2018, April 23). غاية الأرب في معرفة أصل كلام العرب. <https://doi.org/10.31221/osf.io/bemg8>